﴿فَوَقَعَ ٱلۡحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١١٨﴾ [الأعراف: 118]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

المناسَبةُ بين لَقْفِ عصَا موسَى ما يأفُكون، وبيانِ اضْمِحْلال الباطلِ أمامَ الحَقِّ

لمّا مَوَّهوا بسحرِهم أنّهم غَلَبوا، أدخلَ اللّهُ تعالى على تَمويهاتِهم قهرَ الحقِّ فطاشَت تلك الحيلُ، وخابَ مِنهُمُ الأملُ[1]، فظُهورُ الحقِّ استِلزامٌ حَتميٌّ لمَشهَدِ الانتصارِ المُتمثِّلِ بتمييزِ صَغارِ أعمالِ السِّحرِ مِن عِظَمِ قُدرةِ العزيزِ الجبّارِ.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿فَوَقَعَ﴾: الواوُ والقافُ والعينُ أصلٌ واحدٌ يَرجِعُ إليه فُروعُهُ، يَدُلُّ على سُقوطِ شَيءٍ[2]. والوقوعُ: ثبوتُ الشّيءِ وسقوطُهُ. ووقوعُ القولِ: حُصولُ مُتَضَمَّنِهِ[3]. ووقعَ الأمرُ حصلَ ووُجِدَ[4]. ووَقَعَ الحقُّ؛ أي: ظَهَرَ، وتَبيَّنَ، وثَبُتَ، وحَصَلَ[5]، وكأنّهُ سَقَطَ مِنَ السّماءِ؛ ليكونَ أوقعَ أثرًا، وأدَلَّ معنىً. ومعنى اللّفظةِ في الآيةِ الكريمةِ: الوجوبُ، والثّبوتُ، واللُّزومُ[6].

2) ﴿وَبَطَلَ﴾: الباءُ والطّاءُ واللّامُ أصلٌ واحدٌ، وهو ذَهابُ الشّيءِ وقِلَّةُ مُكثِهِ، ولُبثِهِ[7]. وأبْطَلتُ: جئتُ بكَذِبٍ، وادّعيتُ غَيْرَ الحقِّ. والباطلُ: نقيضُ الحقِّ، وهو ما لا ثباتَ لهُ عندَ الفحصِ عنهُ، والإبطالُ: يُقالُ في إفسادِ الشّيءِ وإزالتِهِ، حقًّا كانَ ذلك الشّيءُ أو باطلًا[8]. وكلُّ ما ذُكِرَ في القرآنِ مِن هذا التّركيبِ فهو بمعنى المُهْدَرِ؛ لأنّهُ غيرُ صحيحٍ أو غيرُ نافعٍ[9].

(1) القشيريّ، لطائف الإشارات: 1/557.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (وقع).
(3) الرّاغب، المفردات: (وقع).
(4) الزّمخشريّ، أساس البلاغة: (وقع).
(5) ابن جرير، جامع البيان: 13/31.
(6) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (وقع).
(7) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (بطل).
(8) الخليل، العين، والرّاغب، المفردات: (بطل).
(9) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (بطل).

ومعنى بَطَلَ في الآيةِ الكريمةِ: أُهْدِرَ، ولم يُفِدْ، ولم يُنْتَفَعْ بهِ، ولم يُعْطِ الثّمرةَ الّتي رَجَوْها، وذَهَبَ ضَياعًا وخُسْرًا فهو باطلٌ.

❁ المعنى الإجْماليُّ:

ظهورُ أمرِ اللهِ، وبُطلانُ أعمالِ السَّحرَةِ

ظَهَرَ الحقُّ، وتبيَّنَ، وثَبَتَ في نفوسِ مَن شَهِدَهُ، وحضرَهُ في أمرِ موسى عليه السلام، وأنّهُ مِنَ اللهِ رسولٌ يدعو إلى الحقِّ، وبَطَلَ ما كانوا يَعملونَ مِن إفكِ السِّحرِ وكذبِهِ، ومخايلِهِ، وحيلِهِ[1]. وذلك أنّ السَّحرَةَ قالوا: لو كانَ ما صَنَعَ موسى سِحرًا لبقيَت حبالُنا وعصيُّنا. فلمّا اختفَت، وتلاشَت في عصا موسى، عَلِموا أنَّ ذلك مِن أمرِ اللهِ، وقُدرتِهِ[2].

وتُرشِدُ الآيةُ الكريمةُ إلى أنَّ الباطلَ مهما أُعِدَّ لهُ، وزُيِّنَ، وتَرعرعَ في مَحضَنِ الكبراءِ، وحفَّتهُ المُغرياتُ، فإنّهُ إلى زوالٍ واضمحلالٍ، ولا بدَّ لرايةِ الحقِّ أنْ تعلو، ولِسلطانِهِ أنْ يَستمكِنَ.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

بَلاغةُ الوصلِ في الآيةِ الكريمةِ:

تحقيقُ صِدْقِ الكلامِ بعدَ أن كانَ خبرًا

الفاءُ في ﴿فَوَقَعَ﴾ حرفُ عَطفٍ للتّرتيبِ، والتّعقيبِ، والسّببيّةِ. وهو تفريعٌ على ﴿هِيَ تَلْقَفُ﴾. فبعدَ أن كانَ كلامًا خبريًّا يَصِحُّ أن يُصدَّقَ، ويَصِحُّ أن يُكَذَّبَ، صارَ بصدقِهِ واقعًا[3].

بَلاغةُ التَّعْبيرِ، بالوقوعِ على طريقِ الاسْتِعارةِ:

بيانُ الحقِّ الّذي كانَ عليهِ موسَى عليه السلام، وتَثْبيتُه عليه وطَمْأنَتُه

حقيقةُ (الوقوع) سُقوطُ الشّيءِ مِن أعلى إلى الأرضِ، ومنه: وقَعَ الطّائرُ، إذا نَزَلَ إلى الأرضِ، واستُعيرَ الوُقوعُ لِظُهورِ أمرٍ رفيعِ القَدرِ؛ لأنّ ظُهورَهُ كانَ بتأييدٍ إلهيٍّ فشُبِّهَ بشيءٍ نَزَلَ مِن عُلوٍّ، وقد يُطلَقُ الوقوعُ على الحُصولِ؛ لأنّ الشّيءَ الحاصلَ يُشبِهُ النّازلَ على الأرضِ، وهي استِعارةٌ شائعةٌ قالَ تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٌ ۝٦﴾ [الذّاريات:

(1) ابن جرير، جامع البيان: 13/31.
(2) الخازن، لباب التّأويل: 2/236.
(3) الشّعراويّ، تفسير الشّعراويّ: 7/4300.

6]؛ أي: حاصِلٌ وكائِنٌ، والمعنى: فظَهَرَ الحقُّ وحَصَلَ[1]، ففي التّعبيرِ بهِ تجسيمٌ لهذا الحقِّ الّذي كانَ عليه موسى، وتثبيتٌ واستقرارٌ لهُ، حتّى لكأنّهُ شيءٌ ذو ثقلٍ نَزَلَ على شيءٍ آخر خفيفِ الوزنِ فأزالَهُ[2].

سِرُّ التَّعْبيرِ عنِ ﴿ٱلْحَقُّ﴾، مَصْدرًا مُعرَّفًا:

قوّةٌ في الدّلالةِ، ومُبالَغةٌ في كَمالِ الحقِّ

وعُبِّرَ عنِ ﴿ٱلْحَقُّ﴾ بصيغةِ المصدرِ الأقوى في الدّلالةِ على الحَدَثِ مِنَ الفعلِ، و(أل) فيه جنسيّةٌ للمُبالغةِ والكَمالِ[3]، وتعريفُهُ لِكونِهِ حقًّا واضحًا ثابتًا موافقًا للبرهانِ.

بلاغةُ الطِّباقِ بينَ (الحقِّ) و(الباطلِ):

الحقُّ ثابتٌ واقعٌ، والباطلُ زائفٌ زائلٌ

وجلّى (الحقَّ) ضِدّهُ (الباطلُ)؛ فمقابلَتُه مع الباطلِ الّذي جاءَ رِدْفًا لهُ مِن مُناسبةِ اللّفظةِ لرسيلتِها في النّظمِ، وهو مِن طباقِ الإيجابِ، الّذي يُفْصِحُ عن دلالةِ الرّبطِ المُؤدّي إلى مزيدِ إيضاحٍ لمعنى النّقيضين في السّياقِ، وبيانِ البونِ بينَ الحَدَثَين. والفائدةُ: شدّةُ الرّسوخِ والتّأثيرِ. فالحقُّ ثبوتٌ، وحصولٌ واقعٌ، والباطلُ إزاءَه زائلٌ[4].

شُيوعُ اسْتِعمالاتِ أصْلِ الفعْلِ، تنوّعٌ في مَعانِيهِ:

بُطلانُ صَنِيعِهِم ثابتٌ قبلَ إلقاءِ العِصَا، ولم يتجلَّ للنّاظرين إلّا عندَ الإلقاءِ

الواو في ﴿وَبَطَلَ﴾: عَطفَت ما بعدَها على ﴿فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ﴾، وهو فعلٌ ماضٍ يفيدُ معنى التَّحقُّقِ، وشاعَ هذا الإطلاقُ حتّى صارَ الباطلُ كالاسمِ الجامدِ، فيأتي اسمُ فاعلٍ مِن بَطَلَ فهو باطِلٌ، فيُساوي المَصدرَ في اللّفظِ، أو يكونُ مُشتَقًّا مِنَ المصدرِ وهو البُطلانُ، فيكون في الحالَين بمعنى الوصفِ، ويَصِحُّ تفسيرُهُ هنا بالمَعنَيين، فعَلى التّشبيهِ بالمصدرِ يكونُ المعنى: وانتفَت حينئذٍ آثارُ ما كانوا يَعمَلونَ، وعلى اسمِ الفاعلِ يكونُ المعنى: واتّصَفَ ما يَعمَلونَ بأنّهُ باطِلٌ، وعلى هذا الوجهِ فإنّ المُرادَ مِنَ الفعلِ مَعنى الظُّهورِ لا الحُدوثِ؛ لأنّ كَونَ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/50.
(2) طنطاويّ، الوسيط: 5/350.
(3) قباوة، المفصّل، ص: 588.
(4) الطّيبيّ، فتوح الغيب: 6/512.

ما يَعمَلونَهُ باطِلًا وصفٌ ثابتٌ لهُ مِن قَبلِ أن يُلقيَ مَوسى عَصاهُ، ولَكِنْ عندَ إلقاءِ العَصا ظَهَرَ كَونُهُ باطلًا[1].

وَجْهُ الإطنابِ في الآيةِ الكريمةِ:

زيادةُ التّركيبِ تقريرٌ لِلمَعنَى، وتأنيسٌ لِلمُسلِمينَ، وتهديدٌ لِلكَفرةِ الفجَرةِ

قولُهُ: ﴿وَبَطَلَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ زيادةٌ بعدَ قولِهِ: ﴿فَوَقَعَ ٱلۡحَقُّ﴾؛ لتقريرِ مَضمونِها، ولِتسجيلِ ذمِّ عملِهِم، ونداءٌ بخيبتِهِم، تأنيسًا لِلمُسلِمينَ، وتَهديدًا لِلمُشرِكينَ، ولِلكافرينَ أمثالُها[2].

نُكتةُ التَّعْبيرِ بالموصولِ ﴿مَا﴾:

الدّلالةُ على الإبهامِ، استخفافٌ بعمَلِهِم

﴿مَا﴾ في قولِهِ: ﴿مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ مَوصولٌ يُفيدُ الإبهامَ، فعَمَلُهُم لا يُستحَقُّ أنْ يُذكَرَ، ويُفيدُ العُمومَ، وبهِ يَعُمُّ البُطلانُ سِحرَ السَّحرَةِ وسعيَ فِرعونَ وشيعتِهِ[3].

بيانُ التّعْبيرِ بـ(كانَ والمضارعِ)، في سِياقِ الآيةِ:

أُفْحِمَ السّحرةُ، ودُحِضَ باطلُهم، حتّى نسُوا أنّ لدَيهِم عمَلًا

ودلَّ التّعبيرُ بـ(كانَ)، و(يعملون) على أنّهم - مَعَ ظهورِ بُطلانِ ما كانوا مُستمرّينَ على عملِهِ - نسوا عملَهُم بِحَيثُ إنّهُ أسدلَ عليهم بابَ العملِ بعدَ أن كانَ لَهُم بهِ مَلَكَةٌ وحِذقٌ كالجِبلَّةِ[4]. فالّذي بَطَلَ كانَ عملًا عملوه، وكيدًا كادوهُ، وليسَ شيئًا مادّيًّا أوجدوهُ، كما عُلِمَ مِن سورةِ طه وسورةِ يونسَ؛ أي: فثَبتَ الحقُّ وفَسدَ ما كانوا يَعمَلونَ مِنَ السِّحرِ، والحيلِ، والتّخييلِ وذَهَبَ تأثيرُهُ[5].

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

(وقعَ)، (ظهرَ)، (بدَا)، (تبيّنَ):

إيثار لفظِ (وَقَعَ) على غيره من الألفاظ، وهو من فعْلِ الإلقاءِ

الظّهورُ: كلُّ بارزٍ مُنكشِفٍ مُبْصَرٍ بالبصرِ والبَصيرةِ. وأصلُهُ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/50.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/51.
(3) أبو حيّان، البحر المحيط: 4/364.
(4) البقاعيّ، نظم الدّرر: 3/83.
(5) رضا، تفسير المنار: 9/60 - 61.

مِنَ القوّةِ والظُّهورِ[1]. أمّا البروزُ فكلُّ ما ظَهَرَ بعدَ خَفاءٍ[2]؛ واقْتَرَنَ استعمالُهُ بالحروبِ والشّدّةِ. أمّا الفعلُ (بدا) فالظّهورُ ظهورٌ بيّنٌ[3]. وقد اقترنَ في القرآنِ الكريم بألفاظٍ دالّةٍ على الإخفاءِ: (أخفى، كتمَ، أسرَّ، أرى) إشارةً إلى أنّ البُدوَّ: ضدُّ الخفاءِ والكتمانِ[4]. أمّا الوقوعُ فثبوتُ الشّيءِ وسُقوطُهُ. ووَقَعَ الحقُّ: ظَهَرَ، وتبيّنَ، وثَبَتَ، وحَصَلَ، وكأنّه سَقطَ مِنَ السّماءِ.

وفي اختيارِ لفظِ (وَقَعَ) مراعاةٌ لفعلِ الإلقاءِ؛ لأنّ الشّيءَ المُلقَى يقعُ على الأرضِ فكانَ وُقوعُ العصا على الأرضِ، وظُهورُ الحقِّ مُقترنَينِ[5]. فقُصِدَ إلى اختيارِهِ؛ ليكونَ أوقعَ أثرًا، وأدَلَّ معنىً على قوّةِ تحقُّقِهِ، وشدّةِ أثرِهِ ممّا أدَّى إلى إيمانِ السَّحَرَةِ.

(يَعملون)، (يَفعلون)، (يَصنعون):

العَملُ: إيجادُ الأثرِ في الشّيءِ. يُقالُ: فلانٌ يَعمَلُ الطّينَ خَزفًا، ويَعمَلُ الخوصَ زنبيلًا، والأديمَ سِقاءً. ولا يُقالُ: يَفعَلُ ذلك؛ لأنَّ فِعلَ الشّيءِ عبارةٌ عمّا وجَدَ في حالٍ كانَ قبلَها مَقدورًا، سواء كانَ عن سببٍ أو لا؛ لأنّ الفعلَ قد يُنسَبُ إلى الحيواناتِ الّتي يَقَعُ منها فِعلٌ بغيرِ قَصدٍ، وقد يُنسَبُ إلى الجماداتِ، والعملُ قلَّما يُنسَبُ إلى ذلك، والعَملُ يُستعمَلُ في الأعمالِ الصّالحةِ والسّيّئةِ. والفعلُ: التّأثيرُ من جهةِ مُؤثِّرٍ، وهو عامٌّ لمّا كانَ بإجادةٍ أو غيرِ إجادةٍ، ولمّا كانَ بعِلمٍ أو غيرِ علمٍ، وقصدٍ أو غيرِ قصدٍ، ولمّا كانَ مِنَ الإنسانِ والحيوانِ والجَمادات، والعَملُ مثلُهُ، والصّنعُ أخصُّ منهما؛ لكونِهِ إجادةَ الفعلِ، فكلُّ صُنعٍ فِعلٌ، وليسَ كلُّ فِعلٍ صُنعًا، ولا يُنسَبُ إلى الحيواناتِ والجَماداتِ كما يُنسَبُ إليها الفِعلُ[6].

العَمَلُ كلُّ فعْلٍ يكونُ بقصْدٍ، وهو أخصُّ من الفِعْلِ، والصُّنعُ أخصُّ منهما

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، المفردات: (ظهر).
(2) ابن منظور، لسان العرب: (برز).
(3) الرّاغب، المفردات: (بدا).
(4) داود، معجم الفروق الدّلاليّة، ص: 107 - 109.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/50.
(6) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 134، والرّاغب، المفردات: (عمل)، (فعل)، (صنع).

ومِن وجوهِ التّفريقِ بينَ العَملِ والفعلِ أنّ العَملَ يُستعمَلُ لما يمتدُّ زمانُهُ، وأمّا الفعلُ فيكونُ دُفعةً واحدةً[1]. وبذا يتحقَّقُ أنَّ لفظَ ﴿يَعْمَلُونَ﴾ أنسبُ لسياقِ الآيةِ هنا لكونِ فعلِ السَّحرَةِ كانَ بقصدٍ منهُم، وأوجدُ أثرًا وإنْ كان وقتيًّا، فضلًا عن كونِهِ فعلًا مُمتدَّ الزّمنِ بدلالةِ التّعبيرِ بالفعلِ المضارعِ.

(بَطَلَ)، (دَحَضَ):

اخْتِيارِ لفْظِ (بَطَلَ)، لِكَوْنِهِ أقوَى في الدَّلالةِ عَلى بُطلانِ عمَلِهِم

أصلُ الإبطالِ الإهلاكُ، ومنه سُمّي الشُّجاعُ بَطَلًا لإهلاكِه قرنَه. وأصلُ الإدحاضِ الإذلالُ، فقولك: أبطلَهُ، يفيدُ أنّهُ أهلكَهُ، وقولك: أدحضَهُ، يُفيدُ أنّه أزالَهُ. ومنه مَكانٌ دَحْضٌ إذا لم تَثْبُتْ عليه الأقدامُ. وقد دَحَضَ إذا زلَّ، ومنهُ قولُهُ تعالى: ﴿حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [الشّورى: 16][2]، ولِذلكَ قُصِدَ إلى اختيارِ لفظِ البُطلانِ؛ لِكونِ تضمُّنِه معنى الإهلاكِ أقوى في الدّلالةِ على بُطلانِ عملِهم، فهو عَمَلٌ أوْرَدُهم الهَلَكَةَ، فضلًا مُقابلتُهُ مع لفظِ (الحقِّ) المُتحقِّقِ فيه طباقُ الإيجابِ، الّذي يُفْصِحُ عن دلالةِ الرّبطِ المُؤدّي إلى مزيدِ إيضاحٍ لمعنى النّقيضين في السّياقِ، وبيانِ البَونِ بينَ الحَدثَين، بحسبِ ما تمَّ بيانُهُ في الإيضاحِ البلاغيِّ.

(1) السّيوطيّ، معترك الأقران: 3/604.

(2) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 236.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الرابع عشر، سورة الأعراف من الآية 88 إلى الآية 163
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الرابع عشر، سورة الأعراف من الآية 88 إلى الآية 163 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 14 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-10-4
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 14 : المجلد الرابع عشر، سورة الأعراف من الآية 88 إلى الآية 163.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-768-10-4
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-0402725 بتاريخ 2023/12/30م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»